بسم الله الرحمن الرحيم

من أيام الانقلاب في مصر

بين الغدر بالثورة.. وأخطاء ذاتية

نبيل شبيب

١ تموز / يوليو ٢٠١٧م

تمهيد

مع مرور أربع سنوات حافلة بالإجرام الانقلابي بحق الوطن والشعب والثورة الشعبية الحضارية في مصر، لا يحتاج المرء إلى كثير من التدبر فيما شهدته تلك السنوات وتحليل الحدث للوصول إلى العبر والنتائج، فقد كان المشهد واضحا للعيان بخلفياته وتفاصيله من البداية.
وهذا ما يطرحه كاتب هذه السطور في هذا الكتيب الإلكتروني، إذ يكتفي بعدد من المقالات التي واكب نشرها فترة تنفيذ الانقلاب ضد الثورة، كما تناولت في حينه العلاقة الثورية الراسخة بين مصر وسورية أيضا، فما حدث في مصر ويحدث فيها هو حجر الزاوية للتحرك المضاد لثورات الربيع العربي الشعبية جميعا، لا سيما في سورية، وما كان من أخطاء ذاتية في مسار ثورة شعب مصر على الاستبداد والهيمنة الأجنبية لا نفتقد ما يشابهه في مسار الثورات الأخرى، وكذلك فإن الأمل الكبير المعقود على جيل التغيير في مصر وقدرته على متابعة الطريق لتتحقق أهداف الثورة آجلا أو عاجلا، هو عينه الأمل المعقود على جيل التغيير على امتداد المنطقة العربية والإسلامية.

لقد كانت ثورة مصر وثورات شقيقاتها انطلاقة أولى لاستعادة الإنسان في بلادنا لكرامته وحريته واستعادة زمام المبادرة لبناء بلاده والنهوض بها من وهدة التخلف والفساد والاستبداد بعد أن تراكمت الظلمات على امتداد العقود الماضية، ففتحت تلك الانطلاقة الثورية أبواب تغيير تاريخي واسع النطاق، ورن المضي به هو المهمة الجليلة الواقعة على عاتق جيل التغيير، الذي ستقاس إنجازاته بميزان مسارات التاريخ، ولا تنحصر أحداث التاريخ الكبرى في حدود أعمار من بدؤوا الثورة، وهم يتطلعون إلى مستقبل أولادهم وأحفادهم.. وبالمقابل لن ينسى الأولاد والأحفاد أن كثيرا ممّن فتحوا لهم طريق بناء المستقبل، قد دفعوا الثمن عبر تضحياتهم بدمائهم وآلامهم، ولن يضيع هدرا هذا الثمن، وسائر ما بذلوه وحققوه في السنوات الأولى من هذه المسيرة التاريخية. مع مرور أربع سنوات حافلة بالإجرام الانقلابي بحق الوطن والشعب والثورة الشعبية الحضارية في مصر، لا يحتاج المرء إلى كثير من التدبر فيما شهدته تلك السنوات وتحليل الحدث للوصول إلى العبر والنتائج، فقد كان المشهد واضحا للعيان بخلفياته وتفاصيله من البداية.

وهذا ما يطرحه كاتب هذه السطور في هذا الكتيب الإلكتروني، إذ يكتفي بعدد من المقالات التي واكب نشرها فترة تنفيذ الانقلاب ضد الثورة، كما تناولت في حينه العلاقة الثورية الراسخة بين مصر وسورية أيضا، فما حدث في مصر ويحدث فيها هو حجر الزاوية للتحرك المضاد لثورات الربيع العربي الشعبية جميعا، لا سيما في سورية، وما كان من أخطاء ذاتية في مسار ثورة شعب مصر على الاستبداد والهيمنة الأجنبية لا نفتقد ما يشابهه في مسار الثورات الأخرى، وكذلك فإن الأمل الكبير المعقود على جيل التغيير في مصر وقدرته على متابعة الطريق لتتحقق أهداف الثورة آجلا أو عاجلا، هو عينه الأمل المعقود على جيل التغيير على امتداد المنطقة العربية والإسلامية.

لقد كانت ثورة مصر وثورات شقيقاتها انطلاقة أولى لاستعادة الإنسان في بلادنا لكرامته وحريته واستعادة زمام المبادرة لبناء بلاده والنهوض بها من وهدة التخلف والفساد والاستبداد بعد أن تراكمت الظلمات على امتداد العقود الماضية، ففتحت تلك الانطلاقة الثورية أبواب تغيير تاريخي واسع النطاق، ورن المضي به هو المهمة الجليلة الواقعة على عاتق جيل التغيير، الذي ستقاس إنجازاته بميزان مسارات التاريخ، ولا تنحصر أحداث التاريخ الكبرى في حدود أعمار من بدؤوا الثورة، وهم يتطلعون إلى مستقبل أولادهم وأحفادهم.. وبالمقابل لن ينسى الأولاد والأحفاد أن كثيرا ممّن فتحوا لهم طريق بناء المستقبل، قد دفعوا الثمن عبر تضحياتهم بدمائهم وآلامهم، ولن يضيع هدرا هذا الثمن، وسائر ما بذلوه وحققوه في السنوات الأولى من هذه المسيرة التاريخية.

يسري هذا أيضا على الإخوان المسلمين في مصر، الذين يدور الحديث عنهم في أولى فقرات الكتاب وكانت مقالا منشورا مع التحرك الانقلابي عام ٢٠١٣م، وقد فتحوا في عام ٢٠١٧م باب مراجعة الأخطاء التي ارتكبت من قبل، والتفاصيل في مواقعهم الشبكية الرسمية.

نبيل شبيب

١ تموز / يوليو ٢٠١٧م

المحتوى

الإخوان المسلمون.. وثورة مصر

الفوضى الهدامة.. والربيع العربي

محاولة فهم مسار الثورة في مصر

ثورة مصر على كف الانقلابيين

استهداف مصر واستهداف سورية

أعاصير في مصر وسورية.. تواجه الربيع العربي

انتصار شعب مصر انتصار لشعب سورية

يا شباب مصر

الإخوان المسلمون.. وثورة مصر

٢ / ٧ / ٢٠١٣م

العنصر التاريخي الأهم هو تحقيق أهداف الثورات الشعبية.. ومحورها: تحرير الإرادة الشعبية لتحقيق العدالة والحرية والكرامة والتقدم.. أما الكيفية فهي ما تتعدّد بشأنه الأطروحات والاجتهادات، بما في ذلك ما يُصنع تحت عنوان إسلامي.

وينبغي أن تدرك قوى التيار الإسلامي وجميع القوى الوطنية المخلصة الأخرى، أنّ ما قد تجده من دعم أو عداء خارجي، لا ينفي - في الحالتين - استهداف الثورات والأوطان والشعوب بالعداء، أي العمل للحيلولة دون تحرر الإنسان في هذه المنطقة من الاستبداد المحلي والاستبداد الدولي، اللذين اعتقلا معا طاقات أجيال عديدة.

إن العنصر السياسي الأهم على صعيد التيار الإسلامي تخصيصا هو أنّ الإسلام هو الأصل وأنّ الحركات كلها وسائل..

الوسائل تخطئ وتصيب، فلا بد من التمييز بين الأصل والوسيلة، عند وقوع الخطأ من جانب أي حركة أو حزب أو جماعة أو فرد ممّن يعملون تحت عنوان إسلامي، وكثيرا ما شهدنا ونشهد كيف يُستهدف الإسلام نفسه أو يستهدف التيار الإسلامي تعميما، عبر استهداف بعض التنظيمات والأفراد مع اتخاذ الأخطاء ذريعة لذلك، وهو ما لا ينبغي الإغفال عنه في متابعة مجرى الأحداث هذه الأيام في مصر وأخواتها، ولا سيما سورية.

. . .

في هذا الإطار نقف بين يدي الثورة الشعبية في مصر، وعيوننا على أخواتها ولا سيما سورية، وهي وقفة تتعرض للإخوان المسلمين في مصر، فهم في بؤرة الحدث، وليست الكتابة المباشرة عنهم سهلة، لا سيما عند الحديث عن أخطائهم في اللحظة التاريخية الراهنة، فقد أصبحنا نتحرج من الحديث عن الأخطاء بسبب ابتعادنا كثيرا عن تطبيق ما نردده بشأن وجوب النصيحة والمحاسبة والنقد، حتى في مثل ظروف أحد وحنين، وحتى بات بعضنا يعتبر النقد عداء ومعركة جانبية، ويعتبر الحديث عن الأخطاء طعنة من الخلف، لا سيما إذا كان الكاتب الناقد من خارج تنظيم الحركة المعنية، كما هو الحال مع كاتب هذه السطور!

. . .

الكلمات التالية موجزة في حدود ما تقتضيه الضرورة والمصلحة، وتنطلق من أن مصر ومستقبل مصر أهمّ من أي فرد أو جماعة، وأنّ ما يجري فيها هذه الأيام يترك آثاره على مسار الربيع العربي جغرافيا وتاريخيا إلى حد بعيد، ومن ذلك مسار الثورة في سورية وموقع التيار الإسلامي فيه، والإخوان المسلمون جزء منه.

الأخطاء لا تنفي عن أحد القيمة الحقيقية لدور يؤديه، أو يمكن أن يؤديه مستقبلا، ولكن رصدها وتقويمها ومراجعتها ضرورة حيوية ليكون أداء ذلك الدور سليما في مسار الربيع العربي عموما، حيث تتعرض بلدانه سياسيا لما هو أشد وطأة مما تتعرض له مصر الآن.

. . .

يمكن التركيز في محاولة تعداد الأخطاء على بعض العناوين دون تفصيل:

١- تاريخيا:

قبل الثورة الشعبية في مصر كان من أخطاء الإخوان المسلمين - وسواهم - استبقاء جيل الشبيبة مهمشا، بعيدا أو مبعدا عن مواقع صناعة القرارات القيادية.

وكان من المفروض عند اندلاع ثورات الربيع العربي عبر تحرك جيل الشبيبة في الدرجة الأولى، أن يتم استدراك هذا الخطأ التاريخي على الفور.. لترتفع الحركة إلى مستوى الثورة وما صنعته من تجديد للمعايير والمعطيات ومن تعبئة للطاقات، ولم تصنع الحركة ذلك كما ينبغي.

٢- سياسيا:

من "الأخطاء السياسية الاستراتيجية" من جانب حركة الإخوان المسلمين في مصر (وهو ما ينبغي أن يتجنبه الإسلاميون في سورية وسواها بمن فيهم حركة الإخوان المسلمين):

(١) العلاقة الاندماجية بدلا من الفصل التنظيمي بين جماعة تتحدث وتتحرك باسم الدعوة إلى الإسلام الشامل، وبين الحزب كأداة سياسية للعمل السياسي فقط، ليكون مستقلا كل الاستقلال، وليس مجرد "واجهة من واجهات عمل الجماعة"، وليكون متخصصا في الجانب السياسي فقط، يمارسه ممارسة مهنية، ولا يتعرض لنشر الانطباع أنه يتحرك تحت وصاية الجماعة عليه من خارج نطاقه.

(٢) الظهور في موقع الانفصال عن الثورة والتحرك على صعيدها من خارج نطاق مسارها وكوادرها وشبابها وتجمعاتها التي تشكلت مع اندلاعها، حتى أصبح العمل من أجل "دعمها" أقرب إلى مساعي "الاستحواذ" عليها، بغض النظر عن النوايا.

(٣) التسرّع في خوض غمار "التنافس" السياسي مع "الآخر"، أو الوقوع في شراك سعي "الآخر" لهذا التنافس المبكر، فالأصل ألا يبدأ إلا بعد استقرار البنية الهيكلية للدولة المنبثقة عن الثورة في إطار "الوحدة الوطنية"، دستورا وتشريعات قانونية، بحيث تتوزع المسؤوليات على الجميع، أما التنافس "المبكر" فقد نشر الانطباع أنه سباق على السلطة على حساب الثورة أو سباق على اختطاف ثمار ثورة يصنعها الشعب.

(٤) ممارسات سياسية عفا عنها الزمن، أو تجاوزتها الثورات الشعبية، التي أسقطت عهد الاستبداد محليا ودوليا، وأسقطت أساليب "المعارضة التقليدية" التي لم تسقط الاستبداد من قبل.. فكان من الأخطاء السياسية الجسيمة في مصر (وفي سواها) اعتبار التأييد الأمريكي مصدر قوة، ويمكن القول إن سرعة تحول الموقف الأمريكي (في الأيام الأولى للثورة) باتجاه "تأييد" مشاركة الإخوان في السلطة، قد استهدف من البداية:

أ- تحجيمهم: سمعة التأييد الأمريكي معروفة

ب- توريطهم: بتجاهل الحاجة الحيوية إلى حكومة وحدة وطنية وليس إلى حكومة غالبية

ت- إضعافهم: عبر دعم الخصوم لاحقا

ث- إخفاقهم: للزعم المضلل أن "المنهج الإسلامي في الحكم" قد أخفق!

٣- تكتيكيا:

المقصود بالكلمة هو التصرفات الضرورية في ميادين السياسة اليومية، وليس ما شاع من معنى سلبي بصدد أن التكتيك يعني إخفاء نوايا وأهداف أخرى للمدى الأبعد.

وقد كان من الأخطاء "التكتيكية" للإخوان المسلمين في مصر:

(١) التفاهم مع قادة القوات المسلحة - وهم من العهد السابق - ثم الانقلاب عليهم.

(٢) إعلان العزوف عن منصب الرئاسة ثم السعي إليه بقوة.

(٣) تشكيل دائرة كبيرة من مختلف الأطياف بعنوان مؤسسة رئاسية، ثم تجاوز مشورة أعضائها بوضوح.

(٤) التسرع في إصدار قرارات من وزن بيان دستوري، ثم التراجع لعدم العمل مسبقا لتأمين تنفيذه.

(٥) اعتبار تشكيلات القضاء والنيابة العامة من العهد السابق دستورية واعتبار قراراتها ملزمة تبعا لذلك، ثم خوض معركة "كسر العظم" مع بعضها.

(٦) تفويت فرصة قيام مصر بدور عربي وإقليمي قيادي وهو ما انعكس سلبا على الموقف من الثورات الشعبية الأخرى.. ووصل إلى وضع بالغ الخطورة على صعيد منابع النيل.

. . .

هذه السطور من تاريخ ٢/ ٧/ ٢٠١٣م وسيان ما تسفر عنه الأحداث الجارية في مصر في اللحظة التاريخية الراهنة، ينبغي تأكيد بعض البدهيات التاريخية، وفي مقدمتها:

١- الدروس من التجارب تؤدي مفعولها بقدر استيعابها والعمل بموجبها وهذا ما يرجى لمصر وأخواتها، وما يؤمل من القوى المخلصة، بما فيها تشكيلات التيار الإسلامي المتعددة.

٢- لا ينبغي ربط مصير أي هدف جليل بأداة وجدت لتحقيقه، أي بأي طرف كبير أو صغير يعمل من أجله.

٣- إن التغيير التاريخي يعني تحقيق أهداف جليلة عبر مسيرة جيل كامل وليس خلال سنوات معدودات.

٤- إن ثورات الربيع العربي ثورات تاريخية تصنع التغيير التاريخي على كل صعيد، ولا بد أن يساهم فيه كل طرف مخلص، فمن المستحيل حصر صناعة التغييرات الكبرى في جماعة أو حزب أو تيار أو فئة.

والله ولي التوفيق.

الفوضى الهدامة.. والربيع العربي

٤ / ٧ / ٢٠١٣م

توجد أسباب عديدة لتمكن القوى المضادة لإرادة الشعب من تنفيذ انقلاب الفوضى الهدامة في مصر يوم ٣ تموز/ يوليو ٢٠١٣م لإجهاض جنين الشرعية الشعبية المنبثقة عن ثورة ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١م.

ولئن كان في تعبير "جنين" ما يشير إلى أن الثورة لم يشتدّ عودها بعد - ولا ننفي ارتكاب الأخطاء من جانب من حملوا المسؤولية عن حملها ورعايتها - فإن تعبير "انقلاب الفوضى الهدامة" يؤكد بالمقابل أن ما جرى في مصر ليس انقلابا محليا، بل هو حصيلة مؤامرة دولية..

هي مؤامرة دولية يخطئ من يظن أنها متركزة على مواجهة الثورة الشعبية في مصر فقط، فهي:

(١) متعددة القوى..

(٢) متعددة في أساليب الإخراج..

(٣) متكاملة في الحصيلة..

(٤) شاملة في استهدافها ثورات الربيع العربي جميعا، كيلا يتحقق أهم أهدافها: **تحرير إرادة الشعوب وبالتالي تلاقيها ووحدتها**.

ويوجد ما يكفي من المؤشرات أن هذه ليست الجولة الوحيدة ولا الأخيرة في مصر وأخواتها، ما بين:

- جبهة الشعوب التي عبّأها ما تراكم من طاقات عبر عشرات السنين الماضية وأشعلتها شرارة النيران في جسد بوعزيزي أواخر عام ٢٠١١م، فتحركت من أجل استعادة إرادتها المعتقلة خلف قضبان الاستبداد المحلي والدولي..

- والجبهة التي تضم المستبدين، محليا ودوليا.

. . .

مع عدم إغفال عناصر القوة المادية المختلفة، يبقى "حسن استخدامها ونجاحه" رهن بمستوى وعي جبهة الإرادة الشعبية في هذه اللحظة المفصلية تاريخيا، وهو ما يشمل:

١- الرؤية العميقة الثاقبة.. أي الرؤية الشاملة لمسار التغيير التاريخي الجاري حاليا، فهي الشرط الأول لمتابعة طريق التغيير..

ليس هذا التغيير محصورا في نطاق فريق يثور في لحظة تاريخية بعينها في رقعة جغرافية محدودة ضد بنية استبدادية محلية ويسقطها.. بل هو حركة تغيير كبرى.. ناشئة، تتنامى بتراكم حصيلة إنجازات أجيال تتحرك وتغير، ولا تتوقف عن الحركة والتغيير، عبر ثورات تهدم ما فسد وتشيد ما يصلح، في مسارات متزامنة ومتعاقبة..

وهو تغيير شامل لميادين متعددة، منها إسقاط الاستبداد، ومنها أيضا إسقاط الخوف والغفلة والتخلف والتفرقة، وغير ذلك من أسباب الوهن والركون للظالمين والعيش على هامش الحضارة البشرية خلال العقود الماضية.

٢- استيعاب طبيعة جولات التغيير الجارية..

لا تزال الثورات التاريخية "جنينا وليدا" يواجه "عملاقا" من طاقات استبدادية متراكمة، جيلا بعد جيل، بتأثير استعمار خارجي، واستعمار حديث، واستبداد فاجر، وقهر متواصل، ومن فساد المترفين المنحرفين..

لا بد إذن من العمل في خطوط متوازية: مواصلة التحرك الثوري دون توقف، تنمية القدرات الذاتية على كل صعيد، تطوير أساليب العمل مع المتغيرات سواء أخذت شكل انتصارات جزئية أو نكسات عابرة، ومن أخطر ما يسبب النكسات انتشار الوهم بأن النصر الأخير يتحقق مع انتهاء جولة أولى بإسقاط بعض المستبدين المحليين.

٣- إعادة صياغة المفاهيم والمعايير..

لقد توارثنا فوضى المصطلحات التي باتت عنصرا فاعلا في مسار الفوضى الهدامة المضادة لمسار ثورات التغيير في الربيع العربي..

إن جوهر ثورات التغيير هو التلاقي على مفاهيمه ومعاييره، ويستحيل دون ذلك تحقيقه في اتجاه تاريخي صحيح..

معظمنا يتحدث عن الحرية والكرامة والعدالة والثورة، ويتحدث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية، ويتحدث عن الدولة المدنية والحديثة والعقد الاجتماعي، وعن الدولة الدستورية ودولة القانون والمؤسسات ومبدأ التعددية، ولا يكاد أحد يعني بذلك مضمون ما يعنيه الآخر.. وهذا ما يسري على غالبية من يتحدثون عن حكم إسلامي وخلافة إسلامية ودولة إسلامية وما يتبع ذلك.

إن كل التقاء للجهود في اتجاه مشترك لتحرير الإرادة الشعبية وتفعيلها في صناعة الحدث الثوري وبناء المستقبل يتطلب شرطا مسبقا وحاسما وهو التلاقي على الأصول الكبرى لجملة من المفاهيم والمعايير المشتركة المنبثقة عن عملية التغيير الجارية، وإلا فكيف "نتفاهم" و"نتعاون" و"ننتصر"؟

. . .

لقد شهد مسار الثورات ما لا يحصى من التضحيات والبطولات ومن المعاناة والإنجازات، وآن الأوان أن ندرك جميعا:

١- أننا في حاجة في وقت واحد إلى ثورة بطولية وسياسات قويمة مستقيمة وإنجازات خدمية متواصلة وتلاقي المخلصين جميعا على محور "الانتماء للثورة" دون تمييز بين داخل وخارج، واتجاه أو تنظيم وآخر..

٢- أننا لا نواجه عدوا مستبدا مجرما محليا فحسب، بل نواجه معه حلفا إقليميا فاعلا بصورة مباشرة، وحلفا دوليا وإقليميا "صديقا" فاعلا بصورة مخادعة، والقاسم المشترك بين الجميع هو الحيلولة بجميع الوسائل دون تحرر حقيقي شامل وناجز للإرادة الشعبية في سورية وما حولها.

. . .

لقد احتجنا في مسار الثورة الشعبية في مصر (ناهيك عن بقية أخواتها..) إلى أكثر من عامين ونصف العام مع كل ما كان فيهما من تضحيات وجهود ومعاناة وانحرافات، لندرك أن "صديق الأمس الأمريكي" المزعوم وفق ما أعلن بعد ١٨ يوما مجيدا في ميدان التحرير، هو بعينه من يغذي بالمال والدعم، مباشرة وعبر أتباعه

الإقليميين، أتباعه المحليين في مصر، المرتبطين به فكرا وتوجها وارتباطا ماديا مصلحيا، بعد أن خسروا الجولة الأولى في الميدان، كي يصنعوا - بدعمه - جولة انقلاب مضاد، وإخراجه في لباس "ثورة مضادة" لا يستر عورته.

فليعلم هؤلاء:

إن من تخلّى مرة بعد أخرى عن أتباع مستبدين ارتبطوا به ارتباط "اعتياد العبد الرقيق على قيوده"، سيتخلى عنكم أيضا.. في لحظة لا تستطيعون التنبؤ بميعادها، ولكن ستأتي.

وهنا "همسة" عابرة إلى "إخوة الوطن المشترك" من قوميين وعلمانيين، لا ينفك فريق منهم يتهم الثورات الشعبية بأنها من صنع "الفوضى الهدامة":

يا إخواننا الذين استهدفتكم "قوى الفوضى الهدامة" بمسميات أخرى قبل عقود، خلال ما سمي "العصر الذهبي للقومية العربية" واعتمدت آنذاك ومن بعد على أنظمة استبدادية محلية.. أما آن الأوان أن تعلموا أننا "نحن جميعا" شعوب تثور في خندق واحد، فمن يخشى على أمته حقا، وجب عليه أن يدعم ثوارها، وليشارك في بيان مواطن الخطر لمن تعتبرونهم "مخدوعين".. ولكن حذار من استمرار دعم المجرمين الجلادّين المحليين ضد الشعوب، فلن تكون الحصيلة - لا قدّر الله - سوى العجز عن التخلص من الفوضى الهدّامة التي تدينونها، وممّا تصنعه على حساب الجميع.. جميع القوى الشعبية بلا استثناء.

يجب أن ندرك الآن، جميعا، شبابا ونساء، ثوارا وسياسيين، مفكرين وإعلاميين، مناضلين في جبهات المواجهة ومهجّرين داعمين.. يجب أن ندرك أن ما حمل اسم الربيع العربي هو ثورة واحدة في عدة أقطار، وأن ما يحمل اسم "الاستبداد" هو جبهة مضادة واحدة تضم قوى متعددة محلية وإقليمية ودولية.

يجب أن ندرك ونحن في مخاض التغيير الجذري مع الدماء المتدفقة والعطاء المتواصل:

١- لا يوجد دعم خارجي للثورة.. بل يوجد دعم خارجي للانحراف بمسارها عن هدفها الأصيل

٢- لا يغني عن الدعم الخارجي سوى العطاء الذاتي.. بما في ذلك تصنيع السلاح وزراعة القوت اليومي

٣- لا يغني الكلام عن إنفاق المال.. وسيسأل أصحاب المال عن أداء واجبهم التاريخي

٤- لا يكفي العمل كل حسب موقعه.. بل يجب العمل الجامع للإنجازات المتفرقة في مسار مشترك

٥- لا يحقق النصر أي فريق بمفرده.. فكل من يمتنع عن التعاون يطيل المعاناة في فترة مخاض طريق النصر

٦- لا يتحقق النصر بإسقاط بقايا الاستبداد المحلي.. بل مع مواكبة ذلك بوضع حجر الأساس لما بعده

. . .

ولنعلم في مصر وسورية وأخواتهما علم اليقين:

النصر قادم.. والتغيير بدأ.. والمخاض مؤلم.. ولكن الوليد أغلى من أن يبيح لأحد أن يتخلى عنه ليختنق في آلام المخاض، ومن يصنع ذلك يخسر خسرانا مبينا في الدنيا والآخرة.

والله ولي التوفيق.

محاولة فهم مسار الثورة في مصر

٨ / ٧ / ٢٠١٣م

في الفقرات التالية كلمات مخلصة لمصر وشعبها وثورتها ومكانتها في الربيع العربي وفي واقع العرب والمسلمين عموما، وتتناول:

بدهيات مغيبة - ثغرات في مسار الثورة في مصر - معطيات حالية خطيرة - معالم مخرج مقترح

بدهيات مغيبة

لا يمكن لأي سلطة في حكم شمولي أو جماعي أن تختار هي الشعب الذي يناسبها، ولنا - من منطلقنا الإسلامي - أسوةٌ بمحمد صلى الله عليه وسلم، عندما آلت سلطة المدينة إليه، وكان في أهلها غالبية المسلمين ومعهم المنافقون وأهل الكتاب من اليهود، فتعامل مع الجميع وفق عقد رضي به الجميع، وتعامل مع من خرق العقد وفق ما يستحق بموجب أعراف الحكم السارية المفعول آنذاك، مع ما أعطاها الإسلام من أعمدة راسخة على مبادئ إسلامية إنسانية لم تكن معروفة ولا سارية المفعول من قبل.

إذا ما وصل الإسلاميون إلى السلطة وجب عليهم أن يتعاملوا مع جميع أطياف الشعب باعتبارهم جميعا هم الشعب، وعندما يصل سواهم إلى السلطة يجب عليهم ذلك أيضا، وفي الحالتين لا مناص من آليات يلتزم بها الجميع، وهو ما تعنيه الانتخابات الدورية في موعدها والقبول بحكم الغالبية وتداول السلطة، ثم تكون للشعب رقابة أداء السلطة كسلطة وأداء المعارضة كمعارضة، للمحاسبة في الانتخابات التالية.. إلا من يرتكب جريمة فلا حصانة تمنع محاسبته القانونية الفورية أمام القضاء، شريطة فصل السطات وضمان استقلال القضاء ونزاهته بآليات معروفة أيضا.

هذه بدهيات.. وستستمر ثورات الربيع العربي بمساراتها المختلفة حقبة من الزمن، تطول أو تقصر، حتى الوصول إلى ترسيخ تلك البدهيات على أرض الواقع وفي نطاق تعامل الجميع مع الجميع، جنبا إلى جنب مع التخلص من بواقي ما نشره أخطبوط الاستبداد والفساد - وهو كثير وواسع الاستشراء عبر عقود - وآنذاك فقط يبدأ عهد الاستقرار، أما إعادة البناء فلا بد أن تتأرجح بين مد وجزر إلى ذلك الحين أيضا.

ثغرات في مسار الثورة في مصر

في تونس واليمن وفي ليبيا وسوريا لا تزال آلام المخاض مستمرة، أما مصر فحالة قائمة بذاتها بين ثورات الربيع العربي.

أولا: في مصر بقيت قلعتان قويتان من العهد السابق الذي ثار الشعب عليه:

١- ضمّت السلطة القضائية قضاة شرفاء وتجمعات قضائية كانوا في مقدمة من بدأ "الثورة" قبل الربيع العربي، ولكن النسبة الأعظم من البنية الهيكلية للسلطة القضائية بقيت كما كانت في حقبة تعايشها الفاسد مع الاستبداد والفساد..

ويوم سقوط رأس الاستبداد والفساد لم تشمل الثورة أي تغيير في تلك البنية الهيكلية القضائية، فانتشر الخلل في التعامل معها من جانب الفائزين في انتخابات الثورة، إذ لم يراعوا أن الشرعية الجديدة المنبثقة عن الثورة لم تكتمل بعد، وتقلبوا بين التعاون والاصطدام مع "شرعية" قضائية موروثة لم تصنعها الثورة.

٢- شهدت القوات المسلحة منذ نكبة كامب ديفيد إعادة تركيب بنيتها الهيكلية وتثبيت "عقيدة عسكرية فاسدة" لها ارتبطت بتلك الفترة وبتخصيص دعم مالي أمريكي سنوي، وانطوت على شمول الامتيازات الخاصة لتكوين قوة اقتصادية ومالية ذاتية متداخلة في هيكلية الاستبداد والفساد في السلطة السياسية علاوة على تضخم مصالح مادية فردية وجماعية..

ويوم سقوط رأس الاستبداد والفساد لم تصل الثورة إلى إحداث أي تغيير في هذه البنية الهيكلية، وحتى عند إزاحة كبار القادة العسكريين بعد فترة وجيزة كان الثمن الحقيقي هو إعطاء ذلك الوضع الاقتصادي الفريد من نوعه عالميا، صفة "شرعية" دستورية.

ثانيا: يضاف إلى هاتين "القلعتين" في مصر:

٣- لا تتحرك الثورات ومنها الثورة في مصر في فراغ "خارجي"، وكان التعاون الاندماجي لعقود وعقود بين قوى إقليمية ودولية وبين العهد الاستبدادي الساقط في مصر (وسواها) ضخما متشعبا، فمن السذاجة السياسية توهم انقلاب المواقف والممارسات الإقليمية والدولية نتيجة الثورات بين ليلة وضحاها، لتتعامل معها في اتجاه تحرير إرادة الشعوب تحريرا ناجزا.

لقد بدا على السلطة المنتخبة في مصر كما لو أنها ارتضت لنفسها هذه السذاجة السياسية، أو انطلقت من القدرة المتوهمة على أن تردّ المكر السياسي الخارجي بمكر سياسي أكبر!

٤- في ظل المعطيات القضائية والعسكرية (وواقع الأجهزة الأمنية) والمعطيات الخارجية كان من المستحيل على الغالبية الفائزة في الانتخابات أن تتعامل مع ما لم يتم القضاء عليه في ١٨ يوما في بداية الثورة من أركان الاستبداد والفساد المتشعبة في جميع مرافق البلاد الحيوية، لا سيما مع إيهام الشعب باستصغار شأنهم عبر وصفهم بالفلول.

ويوجد بين تلك الأركان وبين بعض أطياف المعارضة السياسية سابقا وحاليا، قواسم مشتركة من التصورات والمناهج (الفكرية النظرية) أكبر بكثير من نقاط التلاقي بين تلك الأطياف وبين التوجهات الإسلامية التي حازت على التأييد انتخابيا أكثر من سواها.

معطيات حالية خطيرة

لم تنته الثورة في مصر يوم ١٢ شباط/ فبراير ٢٠١١م، بل انتقلت من مرحلة ميدان التحرير إلى مرحلة انتقالية كان من المستحيل أن تمر بسلام دون تأمين قاعدة شعبية وسياسية وطنية عريضة، لا يبدأ دونها مسلسل

الانتخابات المرتبطة بأرضية دستورية وطنية شاملة وتثبيت آليات مبدأ تعدد السطات وتداول السلطة، ولهذا كان الخطأ الاستراتيجي الأكبر هو التعامل مع مسار الثورة انطلاقا من لحظة "مستقبلية" لم يتم الوصول إليها بعد، ولهذا أصبح وقوع "حدث مضاد" على المسار مسألة زمن فحسب، سيان هل اعتبر انقلابا "عسكريا" أم انقلاب تحالف سائر القوى والعوامل المذكورة آنفا، من داخل مصر وخارجها، مما لم يشمله التغيير الذي لا تحمل الثورة هذا الوصف بحق من دونه.

في الوقت الحاضر:

لن ترجع العجلة إلى الوراء.. وبتعبير أوضح يراعي العوامل الذاتية لمسار الثورة:

(١) لن يعود الوضع إلى "شبيه" ما كان عليه قبل ثورة ٢٥ يناير/ كانون الثاني

(٢) ولن يعود الوضع إلى "شبيبه" ما كان عليه حتى أحداث ٣٠ يونيو/ حزيران

بغض النظر عمّن يملك موقفا محقا أكثر من سواه، يبقى أن إصرار الطرفين على إرجاع العجلة إلى الوراء يعني الإصرار على مستنقع صراعات دموية أكبر مما شهده مسار الثورة حتى الآن بما لا يقاس.

وإذا أضفنا إلى ذلك العوامل الخارجية مع ملاحظة أنها أقل اهتماما بحسابات "الثمن" من الضحايا على مستوى الشعوب، نجد:

(١) لن يتخلى الأمريكيون طواعية عن "إنجازاتهم" أو "مرتكزاتهم" في مصر (وأخواتها) على امتداد عقود مضت، ولئن صح ما يقال عن انزعاجهم من الانقلاب على سلطة الإخوان المسلمين، فالأرجح أنه الانزعاج من التوقيت، بدلا من استمرار حصارهم في السلطة دون إنجاز كبير، فإذا خسروا انتخابات مقبلة أصبح من السهل تعميم الخسارة على النهج الإسلامي الذي تلاقت جهات عديدة على إشاعة القول إنهم هم من يمثلونه على انفراد للزعم أن سقوطهم يعني سقوطه.

(٢) ليست القوى المضادة الداخلية وحدها التي تستعجل الحيلولة دون تجربة حقيقية للتيار الإسلامي في السلطة عبر الثورات الشعبية، بل تستعجل ذلك أيضا قوى إقليمية في المنطقة، تعتقد أن ما يجري في مصر الآن إنجاز كبير لصالحها، لن تقف حدوده عند ثورة مصر من بين ثورات الربيع العربي، وبالتالي فسوف تتشبث بما يجري الآن إلى أقصى درجة ممكنة.

. . .

إن الانحياز الوحيد الجائز في هذه المرحلة هو الانحياز لشعب مصر وثورته على الاستبداد بمختلف أشكاله، وبمختلف تفرعاته وتجليات فساده الداخلية والخارجية. وسيان هل قيل إن الشرعية المطلوبة هي شرعية انتخابات، أو شرعية ثورية، أو شرعية شعبية، فإن التسميات والشعارات لا تغير من حقيقة وجود شعب ثائر يريد التغيير الشامل بعد حقبة استبداد فاسد سقط بأيدي الشعب وبفضل تضحياته.

وبقدر تلاقي القوى الفاعلة على هذا الانحياز يمكن ترجيح العودة إلى المسار الثوري رغم النكسة الانقلابية الخطيرة.

والله ولي التوفيق.

ثورة مصر على كف الانقلابيين

٢٥ / ٧ / ٢٠١٣م

بادئ ذي بدء لا ينكر كاتب هذه السطور وقوع أخطاء من جانب قيادات جماعة الإخوان المسلمين في مصر والحزب المنبثق عنها، ولكن جميع هذه الأخطاء لا ترقى إطلاقا لتبرير ما تعرضت له بعد نجاحها في الانتخابات من حصار خارجي وتآمر داخلي مدعوم خارجيا، لتوجيه ضربة عسكرية انقلابية للثورة الشعبية نفسها، مع تصوير ذلك وكأنه يستهدف الجماعة وحزبها فحسب.

. . .

نشهد ساعة كتابة هذه السطور، عشية يوم الجمعة ٢٦ / ٧ / ٢٠١٣م، عملية الإعداد العلني لأخطر مرحلة من مراحل الانقلاب المتعثر شعبيا وسياسيا وتشريعيا، وهي مرحلة التهديد العسكري المباشر لتصعيد الترهيب الدامي للجموع الشعبية في ميادين مدن المحافظات المصرية وشوارعها، من عمليات مدبرة محدودة بأعداد من الضحايا بلغت المئات بين قتيل وجريح، إلى عمليات أوسع نطاقا وأخطر حصيلة، يشارك فيها أبناء مصر في الجيش والشرطة بالألبسة الرسمية بعد عجز من شارك بالألبسة المدنية وعبر البلطجية في ترويع أبناء مصر من المدنيين، من عامة الشعب الثائر لينقذ ثورته من الاختطاف.

. . .

أخطأ من كان يحسب أن الثورة الشعبية التي ظهرت بلباس حضاري ووحدة وطنية مبهرة للأبصار، ستدفع القوى الدولية والإقليمية المعتادة على التعامل غير النزيه مع سلطات حاكمة استبدادية، وستؤيد حقا المسار الديمقراطي الانتخابي، وتتعامل معه تعاملا نزيها، فلا تعمل على الانقلاب عليه..

أخطأ كثيرا من كان يعتقد أن الثورة الشعبية التي أسقطت خلال أسابيع معدودة رأس النظام المتعامل بالاستبداد داخليا وبالتبعية خارجيا، ستلجم من خلّفهم كأذرع الأخطبوط المتغلغل في مفاصل أجهزة الدولة العسكرية والأمنية والقضائية والاقتصادية والإعلامية، وبعض التنظيمات السياسية التي كانت تتعايش مع السلطة الاستبدادية داخل نطاق قنوات يسمح بها الاستبداد والفساد..

وأخطأ كثيرا من كان يعتقد بأن نسبة لا بأس بها من أبناء شعب مصر، الذين تعرضوا عبر جيلين من الزمن، لجميع أشكال غسيل الدماغ الجماعي، والتطويع عبر ألوان الفقر والقهر والحرمان، قد حصلوا خلال عمر الثورة الوجيز على مناعة فورية وكافية لتحصينهم من الأساليب المتبعة في عمليات "التغيير الانقلابية" عبر ذات الوسائل التقليدية من المغريات والمرهبات والتجييش والتضليل الإعلامي المدروس..

على أن الخطأ الأكبر الذي أصبح يعرض مصر لما تتعرض له، هو أن المخلصين من أصحاب الفكر والتدبير، والقادة من الجماعات والأحزاب والتجمعات الأقرب إلى الشعب وثورته وأهدافه، قد فاتتهم على ما يبدو رؤية حجم الخطر الكامن في تلك الأخطاء، فلم يجتمعوا ويتحالفوا ويتعاونوا ويتكاملوا على رؤية مشتركة، وأهداف أساسية ومصيرية مرحلية، وعمل هادف، بدلا من الشروع "الآن" في ممارسات سياسية تجمع ما بين عناصر

التنافس والصراع، ولا تصلح - على فرض التسليم بصحة ممارستها - إلا لفترة ما بعد الاستقرار وبلوغ مسار الثورة مرحلة استقرار الدولة المنبثقة عنها.

. . .

ما فات الأوان بعد رغم ما يُنتظر من مخاطر جسيمة بدءا بيوم الجمعة ٢٦ / ٧ / ٢٠١٣م، فالثورة الشعبية في مصر التي بدأت يوم ٢٥ / ١١ / ٢٠١٣م ما زالت في بدايتها، ككل ثورة تغيير تاريخي كبير يتطلب جيلا من الزمن ليستقر نهائيا، وما بدأ في ذلك اليوم يمكن أن يتعرض لنكسات وتقلبات وأحداث دامية، ولكن يستحيل أن يؤدي شيء من ذلك إلى عكس اتجاه الريح في التغيير التاريخي الجاري في المنطقة برمتها، لا سيما في مصر وسورية.

لا غنى لمن يريد الخروج بثورة مصر من عنق الزجاجة من رؤية الأخطاء في مرحلة سابقة، والأخطار في مرحلة راهنة، لمواجهة ما يتم العمل على فرضه بالقوة في مرحلة تالية، ومن المحاذير حاليا:

(١) خوض المواجهات وكأنها ضد فريق دون آخر.. بدلا من استعادة روح الثورة الشعبية الجامعة.

(٢) الاكتفاء برفض الانقلابيين.. دون تحالف يلتقي أطرافه على تبني الإرادة الشعبية والاحتياجات الشعبية.

(٣) الانشغال بعروض ملغومة حول مصالحة ما.. وعدم طرح عروض قويمة وفق المصلحة العليا المشتركة.

(٤) توجيه الخطاب إلى الانقلابيين.. والأصل هو الخطاب الموجه إلى الشعب المصري بمجموعه.

(٥) التشبث بأساليب تقليدية لم تنجح من قبل.. وعرقلة جيل الشباب عن إبداع جديد كما صنع في مطلع الثورة.

(٦) الحديث عن مصر والمصريين وحشر الثورة في إطار واقع مصر فقط، وهو ما يزعمه الانقلابيون وأعوانهم تضليلا.. والواقع أن ثورة مصر في القلب من الثورات العربية، ولن يكون مسارها مسارا تغييريا تاريخيا جذريا وشاملا إلا في حركتها مع بعضها بعضا على الأهداف الشعبية المشروعة الجليلة من وراء حدود المكان والزمان والأحزاب والاتجاهات المتعددة، ورغم من يرفضون إلا التشبث بالماضي وما كان فيه من استبداد وفساد وتبعيات أجنبية وهيمنة دولية.

. . .

لقد كانت ثورة مصر بعد ثورة تونس المنبر الأكبر للإعلان عن بداية عصر جديد، ولا تزال قادرة بمخزون قواها الشعبية وانطلاقتها التاريخية، على رسم الخطوط العريضة للمستقبل المنشود.

والله ولي التوفيق.

استهداف مصر واستهداف سورية

٢٦ / ٧ / ٢٠١٣م

ليس صحيحا الانطباع العام المتداول أن الانشغال السياسي والإعلامي باستهداف مصر وثورتها هذه الأيام يشغل عن الاهتمام بالأوضاع ومسار الثورة الشعبية في سورية.

إن الغياب الإعلامي عن تفاصيل المشهد الثوري في سورية لا يعني غياب الجهود المبذولة لاختطاف الثورة مع اكتمال سقوط بقايا النظام المهترئ، ولا يكاد يختلف ذلك عن المشهد الثوري في مصر عبر السنوات الماضية، إلا جزئيا، فجهود اختطاف الثورة الشعبية في مصر بدأت فور سقوط رأس الاستبداد والفساد فيها، وجهود اختطاف الثورة الشعبية في سورية بدأت قبل سقوط رأس الاستبداد والفساد فيها.

. . .

من يستهدف مصر يستهدف سورية ومن يستهدف سورية يستهدف مصر، فكلاهما جزء لا يتجزأ من هذه المنطقة وهذه الأمة التي تخشى قوى عديدة، من داخل صفوفها ومن خارج حدودها، من أن تستعيد عافيتها وقدرتها على استئناف مسيرة حضارية كانت المصدر الرئيسي لمسارات الحضارة البشرية قبل أن تنحرف محطتها الغربية المادية وتحولها إلى تقدم مادي وتقني دون روح إنسانية يتنفس من خلالها بنو آدم بالكرامة التي رافقت بداية خلقهم والعدالة والحقوق التي تقررت من جانب خالقهم لهم.. للناس جميعا.

وما الثورات التي جمعها مصطلح الربيع العربي إلا إرهاصات لبداية حقبة حضارية قادمة.. ويراد خنق الجنين قبل أن يولد، وسيان بعد ذلك هل تسقط رؤوس الاستبداد والفساد نتيجة العاصفة الثورية الشعبية أم لا.

. . .

لا يمكن.. ولا ينبغي.. عزل ما يجري في مصر عما يجري في سورية أو العكس، ولا ينبغي أن نبقى في حدود النظر في الحدث نظرة محدودة زمانا ومكانا، ويكفي أن نسمع كيف يتردد في الميادين المصرية الهتاف الشعبي الأعمق مضمونا ومغزى في الساحات السورية: يا ألله.. ما لنا غيرك يا ألله.

لئن نقل الشعب الثائر في مصر عن الشعب الثائر في سورية هتافه الثوري المعبر عن واقع الربيع العربي كله، فمن الضرورة بمكان أن ننقل في الثورة الشعبية الحافلة بالتضحيات والبطولات في سورية عن المحطة التي وصل إليها مسار الثورة الشعبية في مصر ما تعنيه الدروس للشعبين معا، وهي كثيرة وعديدة، وأهمها على الإطلاق:

١- خطورة انزلاق أي فصيل في الثورة، مهما كان شأنه، إلى "كمين" ينصبه أعداؤها في الداخل والخارج لتمزيق أعضاء الجسد الثوري الشعبي الواحد.. فآنذاك يفكر ويتكلم ويتصرف ويتحرك ويتعامل مع الآخرين محليا وإقليميا ودوليا، كما لو كانت هذه الثورة ثورة فصيل.. أو اتجاه.. أو فئة، ويغفل عن أنها ثورة شعبية شاملة، بدواعيها وانطلاقتها، ومسارها وتضحياتها، وبطولاتها وإنجازاتها، وأهدافها ومستقبلها.

٢- إن كل رؤية أنانية، ومنهج إقصائي، وأهداف ذاتية، وأساليب عمل انفرادية، تساهم في حرق الثورة بقدر ما يجري التركيز عليها على حساب سواها أثناء الثورة، وهي في الأصل مشروعة ومطلوبة في مرحلة تالية - دون إقصاء - ضمن صيغة تعايش وتنافس، عندما تستقر دعائم الدولة المنبثقة عن الثورة.

٣- لا يوجد دعم خارجي حقيقي من أجل تحرير إرادة الشعب الثائر فحسب، ومن يصدّق ذلك واهم، إنما يأتي الدعم بقدر ما تفرض الثورة واقعا على الأرض، يدفع أصحاب المصالح والمطامع خارج نطاق الثورة، على التحرك في اتجاه يتوافق مع الأهداف المتحققة فعلا.. ويوجد من يتحركون خوفا على مصالحهم ومطامعهم، سيان هل يوجد لديهم تناقض مصلحي مع استبداد وفساد قائمين، أم لا.

٤- توجد في الثورة، وفي كل ثورة تغييرية، أطراف إقصائية استئصالية، لا ينفع معها تقارب ولا تعايش ولا منطق ولا إحساس بما تعنيه قيم مشتركة ومصلحة عليا، ولكنها تمثل نسبة محدودة على الدوام، فلا ينبغي تعميم الموقف الرافض لها، على كل من يتبنى اتجاهاتها، فالاختلاف أصل في الفطرة البشرية والواقع البشري، والإقصاء والاستئصال جريمة سيان من يرتكبها، بحق الشعوب والأوطان وبحق مختلف المعتقدات والاتجاهات، فلا بد من التمييز الدقيق بين تلك الفئة المحدودة ومن تستهويهم عبر تضليلها وتجييشها، ومن دون ذلك لا تكون الثورة شعبية، ولا شرعية وإنسانية، ولا تحقق أهدافها، ولا تنسجم مع المبادئ التي تعتمد عليها، وهذا ما يسري بصورة خاصة على المنهج الإسلامي الذي ينطلق منه كاتب هذه السطور، فهو منهج يرفض أن يصيب الظلم الإنسان أي إنسان، ويوجب التحرك ضد الظلم عندما يصيب جنس الإنسان، تلك هي الروح التي سرت في المنطقة عبر ثورات الربيع العربي.. وسوف تحقق مبتغاها بإذن الله، شاء من شاء من الشعوب الثائرة على الطغاة وملئهم، وأبى من أبى ممن يستسيغون العبودية ويستهوون الفساد ويربطون أنفسهم بأقدام من يمارسون ذلك من داخل الحدود وخارجها على السواء.

والله ولي التوفيق.

أعاصير في مصر وسورية تواجه الربيع العربي

٢٨ / ٧ / ٢٠١٣م

تفرض الأحداث الآنية في مصر نفسها ويوجد من يعتبرها مغايرة من حيث جوهرها للأحداث في سورية، فيحسن إجراء مقارنة مبسطة - بلسان المنطق المجرد قدر الإمكان - ما بين مسارها ومسار الثورة السورية:

أولا: إسقاط النظام وإسقاط رأس النظام

(١) في مصر اقتصر التوافق لحظة اندلاع الثورة على هدف واحد، شعاره الأبرز للعيان: "الشعب يريد إسقاط النظام"، ولا ينفي هذا قطعا وجود أهداف أبعد: الحرية والكرامة والعدالة..

(٢) في سورية أيضا نشأ التوافق الشعبي على الهدف ذاته، ولكن الشعارات الفورية الأولى مثل "الشعب السوري ما بينذل" و"حرامية.. حرامية"، و"الموت ولا المذلة"، أطلقت على الفور الأهداف الأبعد مدى من إسقاط النظام: الحرية.. والكرامة.. والعدالة..

ثانيا: ماهية النظام الاستبدادي الفاسد

ليس "النظام" رئيسا وعصابة فحسب، بل يشمل:

- شبكات أخطبوطية من العلاقات "الداخلية" التي تحتل مفاصل الدولة وصناعة القرار والحدث فيها
- وشبكات "خارجية" تحدد موضع النظام ومن خلاله الدولة إقليميا وعالميا..
- وشبكات "معارضة ضعيفة" يصنعها النظام نفسه أو يتعايش معها من "هياكل" و"أساليب عمل" ضمن "قنوات محددة"، وجميع ذلك مناسب لاستمراره وليس لإسقاطه، كما تشهد خبرة عشرات السنين..

(١) في مصر بدا كما لو أن هدف الثورة تحقق سريعا بسقوط رأس النظام، إذ لم ينكشف بما فيه الكفاية - أو انكشف ولم يجد اهتماما كافيا - ما بات يوصف لاحقا بالدولة العميقة..

(٢) في سورية تشابك مسار الثورة من اللحظات الأولى بتلك الشبكات الثلاث لما يوصف بالدولة العميقة وكشف عنها، وهذا ما يتجلى في تعبير "الثورة الكاشفة":

- داخليا: العصابة المتسلطة رأس يحرك وأذرعه الضاربة تتحرك معه الآن وليس بعد سقوط الرأس.
- خارجيا: يتكامل سلوك تحالف أصدقاء النظام في إجرامه مع سلوك "أصدقاء الشعب الثائر" في خذلانه.
- المعارضة: تحتاج لتجارب عديدة لتكتشف أو يكتشف بعضها اهتراء الهياكل والأساليب والقنوات القديمة.

ثالثا: اختلاف المسار شكليا

من حيث الجوهر، وليس من حيث التضحيات وحجمها وإجرام العصابات المتسلطة ونوعيته ووسائله، لا يوجد اختلاف بين مسار الثورتين في مصر وسورية بمنظور أنهما جزء من ربيع ثورات التغيير الجذري التاريخي:

إنّ ما يشهده مسار الثورة في مصر ساعة كتابة هذه السطور، أي بعد ٢٨ شهرا من إسقاط رأس النظام، هو نتيجة إعداد مضاد وتخطيط ماكر، بدأ مع اللحظة الأولى لاندلاع الثورة.. وسيسفر في نهاية المطاف عن "سقوط النظام الأخطبوطي" كحصيلة نهائية.. وتتحرك عجلة التغيير.

وهذا من حيث الجوهر عين ما يشهده مسار الثورة في سورية من أحداث، منذ ٢٨ شهرا، أي قبل إسقاط رأس النظام وعصاباته، وهو أيضا نتيجة إعداد مضاد وتخطيط ماكر، بدأ مع اللحظة الأولى لاندلاع الثورة.. وسيسفر في نهاية المطاف عن "سقوط النظام الأخطبوطي" كحصيلة نهائية.. وتتحرك عجلة التغيير.

رابعا: المطلوب في مصر وسورية

(١) رؤية شاملة زمنيا.. فمن يعمل لحدث ثوري ويحسب أنه ينتهي بتحقيق هدف مرحلي خلال فترة زمنية محدودة، يجهض حصيلة ما يتحقق سريعا، ولا يحقق التغيير الكبير الشامل المطلوب تاريخيا

(٢) رؤية شاملة مكانيا.. فمن يعمل في بقعة جغرافية ولا يربط ما فيها بما يتجاوز حدودها، يحشر نفسه ثوريا في أوضاع التمزق المصنوع والمفروض في منطقته وعالمه وعصره، جغرافيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا، ولا يمكن أن يبلغ الهدف الكبير الذي يعمل له ثوريا، والذي يحتاج إلى تجاوز الحدود الآن ومستقبلا..

(٣) رؤية عميقة موضوعيا.. فمن يضع للثورة الشعبية قضبانا تسجنها في إطار جماعته أو اتجاهه أو تنظيمه أو رؤيته أو في نطاق هدف مرحلي قريب من أهدافه، فقد يصنع تغييرا جزئيا محدودا يسقط في مواجهة الأعاصير الأكبر منه، ولا يصنع ثورة "شعبية" على المستوى الوطني، "وسياسية كبرى" على المستوى الإقليمي، و"حضارية" على المستوى البشري الإنساني.

والله ولي التوفيق.

انتصار شعب مصر انتصار لثورة شعب سورية

١٦/ ٨ / ٢٠١٣م

بلغ الأمر في أفاعيل الثورة المضادة في مصر مداه الإجرامي الدامي، ولا يزال من المبكر السؤال: إلى أين سيصل بمصر وشعبها وثورته.

وقد عبّر بعضنا عن شيء من الأسى أن متابعة ما يجري في مصر غيّب جزئيا أو كليا ما يجري في سورية، بعد أن كان يحتل مكانة الصدارة.. ولا بدّ من ذكر بعض الملاحظات على ذلك:

(١) كل إنسان يقتل ظلما وعدوانا في مصر هو كأي إنسان يقتل ظلما وعدوانا في سورية وسواها..

(٢) لم ينتشر الحديث عن (مصر) و(سورية) في صيغة (بلدين) إلا نتيجة وراثة الأنظمة الاستبدادية الفاسدة للتجزئة عن الاستعمار الأجنبي.. ثم العض عليها بالنواجذ لترسيخ الاستبداد والفساد، وهذا بعض ما ستضع ثورات الربيع العربي نهاية له بإذن الله

(٣) انتشار الإحساس بتغييب أحداث الثورة الشعبية في سورية بسبب الاهتمام بأحداث مصر، ناجم عن تركيز من (يتابع) الثورة عن بعد على وسائل الإعلام.. فالتغييب مرتبط بسياساتها الإعلامية فحسب، وبقدر ما يعبر كثير منا عن الامتنان للجانب الإيجابي الإعلامي المهني والقويم، يؤمل أن يزداد ذلك وضوحا ويزداد تجنّب تزييف الحقائق وتغييبها بدرجات متفاوتة.

(٤) إن الحرص الأكبر على انتصار ثورة الشعب في سورية، يفرض الحرص الكبير على انتصار الثورة الشعبية في مصر وانكفاء من يعمل على اختطافها، فالربيع العربي بمجموعه هو ما يصنع التغيير الجذري التاريخي القادم.. ولا يكتمل مساره وتتحقق ثمراته كما ينبغي بانتصار ثورة وانكسار أخرى

(٥) لا علاقة للموقف من أحداث مصر الحالية بانتقاد سياسات الإخوان المسلمين في مصر ولا في سورية، فحتى لو كانوا ملائكة في مصر، ما تبدلت الهجمة عليهم وعلى شعب مصر عموما إلا جزئيا ومن حيث التفاصيل فحسب، ويبقى جوهر العمل على تقويض الثورات الشعبية كما هو، تخطيطا وتنفيذا.. وفي سورية أيضا، حتى لو غاب الإخوان المسلمون عن المشهد كله، ما تبدل التعامل الاستبدادي المحلي والإقليمي والدولي مع الثورة الشعبية.

(٦) ولئن ارتكب الإخوان المسلمون في مصر أخطاء - وهذا ما ذكروه بأنفسهم - فعلاوة على استحالة تسويغ الانقلاب الدموي على الثورة بتلك الأخطاء، يبقى أن تعاملهم مع الأحداث الجارية رسخ أنهم جزء عضوي من شعب مصر الثائر.

(٧) ولئن كان من درس تاريخي آخر للإخوان المسلمين - وسواهم - في الثورة الشعبية في سورية، فجوهره يكمن باستحالة الحديث عن فريق دون فريق في مسار الثورة، واستحالة اعتبار أي انتصار قادم بإذن الله انتصارا لفريق دون فريق، فالشعب، كل الشعب، وليس أي فريق أو جماعة أو حزب أو اتجاه، هو الأساس والمنطلق والهدف في مسار الثورة.

. . .

إن ما نخشاه في مصر وعلى شعب مصر وثورة مصر هو عين ما نخشاه في سورية وعلى شعب سورية وثورة سورية، سواء بسواء، فمضاعفة الجهود المضادة لخنق مسار الحرية والكرامة والاستقلال والأمن والسيادة والتقدم في مصر، لا يعني استهداف مصر فقط، بل يعني استهداف الربيع العربي كله، بثوراته الحالية والمستقبلية من أجل الحرية والكرامة والاستقلال والأمن والسيادة والتقدم.

وإن ما نرجوه في مصر ولشعب مصر وثورة مصر، هو عين ما نرجوه في سورية ولشعب سورية وثورة سورية: انتصار الحق على الباطل، والثورات الشعبية على القوى المضادة جميعا، وتلاقي القوى المخلصة على أرضية القواسم الثورية المشتركة، ورص الصفوف الآن وإلى ما بعد قيام الدولة المنبثقة عن الثورة، ورسوخ دعائمها، واستقرارها، وتحقيق الأهداف الشعبية الثورية من خلالها.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، في مصر، وفي سورية، وفي أخواتهما، وفي يوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء.

والله ولي التوفيق

يا شباب مصر وثوارها الأحرار

١ / ١٢ / ٢٠١٣م

يا أحرار مصر من شبابها وفتياتها الثوار..
يا بنات الاسكندرية في قبضة المدمنين على الغدر والعار..
يا رفاق أحمد ماهر وعبد الفتاح وأسماء محفوظ وكل من نادى بتحرير مصر ومضى على دروب الأبطال والشهداء الأبرار
يا من صنعوا الثورة الشعبية العملاقة.. وسيصلون بها بإذن الله إلى النصر
لم يعد خافيا أن مسار ثورتكم الشعبية الكبرى قد تجاوز هذا اليوم، الأول من ديسمبر ٢٠١٣م مرحلة المراوغات والمؤامرات والأخطاء السياسية وغير السياسية من جانب الأحزاب والجماعات ومن جانب المنتفعين من الاستبداد والفساد..
لم يعد خافيا أن انتصار الثورة لم يتحقق بإسقاط "رأس النظام"، قبل زهاء ثلاث سنوات، وأن جميع ما جرى منذ ذلك اليوم إنما هو مرحلة تليها مراحل، ولن تبلغوا لحظة الانتصار إلا بقيام الدولة التي تصنعونها بأنفسكم، وفق أهدافها، حرية وكرامة وعدالة ونزاهة، وطاقة متفجرة على دروب البناء، وإنهاء بلا رجعة لأسلوب البلطجة العسكرية والأمنية والسياسية و"القضائية"، وأسلوب المناحرات الحزبية والتعصبية..
لم يعد خافيا أيضا أن المشكلة ليست مشكلة تيار دون تيار، وجماعة دون جماعة، بل هي قضية تحرير شعب بأكمله، بجميع فئاته واتجاهاته، من استبداد لا يتمثل في رئيس متسلّط فحسب، بل في فساد عشعش خلال وجوده وانتشر، بموبقاته في مختلف مرافق الدولة، بدءا بأجهزة القضاء مرورا بطبقة القيادات العسكرية والأمنية المترفة، انتهاء بعصابات من البلطجية الأتباع.

يا شباب مصر وفتيات مصر وثوار مصر الأحرار
إن الثورة أعظم بكثير وإن أهدافها أعظم بكثير وإن الانتصار فيها أعظم بكثير من مجرد مهمة تنقضي في أيام أو حتى بمظاهرات مليونية تملأ الساحات.
إن ما بلغتم به في ميدان التحرير على امتداد ١٨ يوما هو البداية التي تعايشون اليوم بأنفسكم ما تتطلبه في جولات تالية..
وها أنتم تواجهون مجددا بعد زهاء ثلاث سنوات، هجمات البلطجة بثياب رسمية، وها نحن نرصد كيف أن ما فاجأ الدنيا يومذاك فأرغم العدو والصديق إلى الاعتراف بثورتكم، لم يعد يفاجئ أحدا اليوم بما تصنعون، بل "استعاد عدوكم وعدو بلادكم توازنه" ودبّر ما دبّر لقطع الطريق على مسار ثورتكم، ويبذل الآن أقصى الجهود للحيلولة دون أن تستأنفوا ذلك المسار، ولن تستأنفوه بدعم من أي طرف، إنما بإقدامكم أنتم ووحدة صفوفكم أنتم ومصابرتكم وبطولاتكم وتضحياتكم ووعيكم وعملكم وعطاءاتكم أنتم.

يا شباب مصر وفتيات مصر وثوار مصر الأحرار

سوف تستعيدون ثورتكم ممّن اختطفوها، وتنتزعون حقكم بمتابعتها انتزاعا، وسترغمون من يأبى عليكم الحرية والكرامة على التراجع إرغاما، وإنه يصنع بنفسه من خلال استكباره وعناده ما يعجل بنهايته، وهو يكشف في كل يوم عن المزيد مما ينتظر شعب مصر إن توقف نبض الثورة العملاقة، فبات لا يبالي باستشهاد أهل مصر داخل المساجد وفي الميادين وداخل الجامعات، وبات الفاسدون من القضاة يمارسون بلطجيتهم حتى على الفتيات الطاهرات، وبات تعداد الدبابات والمصفحات والجنود والشرطة داخل القاهرة وحدها في مواجهة شعب مصر أضعاف ما يفترض أن يكون على حدود الوطن للدفاع عن شعب مصر.

إنما تعلمون – يا مستقبل مصر - أن هذا "كل" ما عندهم، فلا يملكون سياسة تصنع دولة، ولا اقتصادا يكسر أغلال الطبقية بين ترف وفقر، ولا مبادئ تفرض احترامها فرضا على القوى الإقليمية والدولية..

كل ما عندهم: الاعتقال والكذب الإعلامي والقتل والكذب "القضائي" والتسلّط العسكري العلني باسم دستور أغرب ما فيه أن يسمّى دستورا.

تعلمون أن هذا "كل" ما عندهم ويستحيل أن يكسروا به إرادتكم وأنتم تصنعون حريتكم، أو أن يتغلبوا به على قوتكم وأنتم تعيشون وحدة أهدافكم وصفوفكم، أو أن يزوّروا ثورتكم ما دامت حناجركم تهتف وقلوبكم تخفق ومادام الثبات على طريقكم كما كان فوق الجسور التي عبرتم إلى ميدان التحرير أيام انطلق أهل مصر يهتفون: "الشعب يريد إسقاط النظام"، فزلزل الهتاف العالم من حولكم، وجعل جميع فئات الشعب تمضي مع أبنائها وبناتها وتتحرك بهم ومعهم ومن ورائهم نحو النصر..

وما زلتم في الطريق نحو النصر..

وما زلتم في مقدمة القافلة على طريق النصر..

وما زلتم قادرين على صناعة النصر..

سدّد الله خطاكم، وأضل من يريد أن يواجه بالموت سعيكم للحياة الكريمة، ويواجه بالبلطجة في المعتقلات والمحاكم وفي الشوارع والميادين والجامعات صوتكم الهاتف بنداء الحرية الثوري: الشعب يريد إسقاط النظام.. وسيسقط بقايا أذناب النظام كما سقط رأسه بين يدي الأحرار الثوار.

والله ولي التوفيق